



همسات قبل رمضان

(012) سورة يوسف

خطبة جمعة

2026-02-13

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

يا ربنا لك الحمد، ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، غنى كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفرج كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك، وكيف نضل في هُداك، وكيف نضام في سلطانك، وكيف نخشى غيرك، والأمر كله إليك، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جئات القربات، فجزاه الله عنا خير ما جرى نبياً عن أمته.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد، وسلم تسليمًا كثيراً.

وبعد فيا أيُّها الإخوة الكرام: لُزِمَا كُنْت مُرَبِّياً وَجَاءَكَ شَابٌ قَدْ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ بِالْمَعَاصِي وَالْإِتْمَامِ، وَلَا زَمَهَا حَتَّى تَمَكَّنْتَ مِنْهُ، وَحَالَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادَةِ رَبِّهِ، فَأَخَذْتَ تُبَيِّنَ لَهُ فُجْحَ الْمَعْصِيَةِ وَدَوَاءَهَا، وَأَنَّ اللَّهَ إِنَّمَا حَرَّمَ الْمَعَاصِيَ صِيَانَةً لِنَفْسِكَ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُحَرِّمُ إِلَّا شَيْئاً خَبِيئاً تَخُبُّتِ النُّفُوسُ بِهِ، حَتَّى إِذَا وَجَدْتَ قَلْبَهُ، قَدْ خَفَّ تَعَلُّقُهُ بِالْمَعَاصِي وَالْإِتْمَامِ، بَدَأْتَ بِمَلَاءِ قَلْبِهِ بِمَكَارِمِ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ.

التخلية والتخلية معاً لا بُدَّ منهما:

أيُّها الإخوة الكرام: هذا الفعل يُسَمِّيهِ بعض العلماء التخلية والتخلية، بمعنى أنك إذا أردت أن تملأ كأساً، بشرابٍ عذبٍ لذيق، لا بُدَّ أولاً أن تُنْطَفِ الكأس، فتنتظف الكأس من الأوساخ تخلية، وملؤه بالشرب اللذيذ تخلية، ولا بُدَّ من الأمرين معاً، وكانوا يقولون: التخلية قبل التخلية، وأقول: التخلية والتخلية معاً، لأنَّ كلاً منهما شرط ونتيجة، بمعنى أن تخلية القلوب من أمراضها، سبب لتخليتها فيما بعد بالخيرات، وهو نتيجة حتمية لملئها بالخيرات، وكذلك فإنَّ تخلية القلوب بمكارم الأقوال والأفعال، تُخلِّيها من الأشياء السيئة وتطرده الأفعال الدنيئة، فالتخلية والتخلية معاً لا بُدَّ منهما.

أيُّها الإخوة الكرام: القرآن الكريم يستخدم هذا المنهج في كثيرٍ من آياته، في الخطبة السابقة تَلَوْنَا قَوْلَهُ تَعَالَى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالْمِطَاعَاتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْقِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256)

(سورة البقرة)

(فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ) هي التخلية، أن تُخَلِّي قلبك من التعلُّق بما يُعَبِّد من دون الله، (وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ) هي التخلية، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103)

(سورة التوبة)

التطهير هو التخلية (وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) تنمو نفوسهم بها، والتركية هي التخلية، فالتخلية والتخلية لا بُدَّ للمؤمن منهما معاً.

ينبغي أن نسعى لتخلية النفس من الذنوب والشواغل والشحناء قبل رمضان:

أُيِّها الإخوة الكرام: نحن على أعتاب رمضان، وينبغي أن نسعى فيما تَبَقَّى من شعبان، إلى تخلية النفس من الذنوب والشواغل والشحناء، حتى إذا جاء رمضان كانت نفوسنا طاهرة، مُسْتَعِدَّةً لتلقِّي خيرات وبركات هذا الشهر الكريم وهذا الصيف الكبير.

مما يلفت النظر، أنَّ شهر شعبان كما قال صلى الله عليه وسلم:

{ قلتُ يا رسولَ الله لم أَرَكَ تصومُ شهرًا منَ الشهورِ ما تصومُ منَ شعبانِ؟ قال: ذلكَ شهرٌ يَعْقِلُ الناسُ عنه بينَ رَجَبٍ ورمضانَ وهو شهرٌ

تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ العَالَمِينَ، فَأَجِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَقْلِي وَأَنَا صَائِمٌ }

(أخرجه النسائي وأحمد)

لماذا تُرفع الأعمال إلى الله في شعبان؟

لماذا تُرفع الأعمال إلى الله في شعبان؟ يُريد الله منك في هذا الشهر، أن تُكثِرَ من الأعمال الصالحة، أن تُطَهِّرَ نفسك، حتى يُرفع عملك إلى الله تعالى وأنت في أحسن حال، فإذا جاء رمضان، كنت مع الله منذ بداية رمضان، في صفحةٍ جديدة لا مجال فيها إلا لأن تُملأَ بالخير والبركات.

وأنَّ مما يلفت النظر أيضاً، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم سَنَّ الإكثارَ من الصيام في شعبان، ولمَّا يأتي شهر الصيام من أجل تخلية النفس، ومن أجل طرد ما في النفوس من التعلُّق بغير الله تعالى.

أُيِّها الإخوة الأحاب: يُريد الله منَّا ألا يأتي رمضان إلا والقلوب سليمة، لذلك:

{ إِنَّ اللَّهَ يَطَّلِعُ فِي لَيْلَةِ التَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لَجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ }

(أخرجه ابن ماجه بلفظه وابن أبي عاصم في السنة والدارقطني في النزول)

لا يُغْفَرُ لِمُشْرِكٍ وهذا مفهوم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (48)

(سورة النساء)

لماذا يُرَبِّطُ بَيْنَ الْمُشْرِكِ وَالْمُشَاجِنِ فِي مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ؟

فالمُشْرِكُ قد أخطأ التوجُّهَ، توجَّهَ إلى غير الله تعالى، فلا يُعَقَّرُ له، أمَّا أنه لا يَغْفِرُ لِمُشَاجِنِ فِشْيءٍ يَلْفِتُ النَّظْرَ، أن يُرَبِّطَ بَيْنَ الْمُشْرِكِ وَالْمُشَاجِنِ فِي مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ! لماذا؟
أَيُّهَا الإخوة الكرام: أَعِيدُوا وَأَكْرَرُوا، لأنَّ الله تعالى يُرِيدُ مَتَا فِي شَعْبَانَ وَقَبْلَ رَمَضَانَ أَنْ تُطَهَّرَ نَفُوسُنَا، أَلَّا نَدْخُلَ إِلَى رَمَضَانَ إِلَّا بِصَدُورٍ سَلِيمَةٍ وَقُلُوبٍ طَاهِرَةٍ نَقِيَّةٍ.
أَيُّهَا الكرام: يقول صلى الله عليه وسلم:

{ تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، فَيَغْفِرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءٌ، فَيَقُولُ: أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحُوا، أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحُوا، أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحُوا }
(أخرجه مسلم)

(أنظروا) أي أمهلوا، تؤخَّرُ مغفرة الذنوب عنهما حتى يصلحا.
أَيُّهَا الكرام: عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه:

{ حَرَّحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنُحَيْرَتَا بَلَيْلَةِ الْقَدْرِ فَتَلَاخَى رَجُلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: حَرَّحْتُ لِأَخِيرِكُمْ بَلَيْلَةَ الْقَدْرِ، فَتَلَاخَى فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَزَوَّعَتْ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، فَالْتَمِسُوهَا فِي التَّاسِعَةِ، وَالسَّابِعَةِ، وَالْخَامِسَةِ {
(صحيح البخاري)

ليلة القدر ليلةٌ من ليالي رمضان، في العشر الأخير من رمضان، فزُفِعَتْ ليلة القدر ولم يعلم الناس موعدها، السبب أنَّ رجلين من المسلمين تلاحيا، تخاصما، فقال: **(وعسى أن يكون خيرا لكم، فالتمسوها في التاسعة، والسابعة، والخامسة)** أي في التاسع والعشرين، والسابع والعشرين، والخامس والعشرين.

مُتَعَةَ الاستفزاز:

أَيُّهَا الإخوة الكرام: مبدأ المُشَاحِنَةِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بِبَدَأٍ مِنْ مُتَعَةَ أُسْمِيهَا مُتَعَةَ الاستفزاز، هناك مُتَعَةُ عند البعض في استفزاز الآخرين، ينتقي من الكلام أسوأه، مع أنَّ الله تعالى يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا (53)
(سورة الإسراء)

أي إذا وجدت كلمةً حسنةً وأخرى أحسن منها، فدع الجسنة وخذ الأحسن منها **(وقل لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)** لكن المُستَفْزِرِينَ يَنْتَقُونَ العبارة الأسوأ، يفتح على التواصل الاجتماعي، ينظر أي عبارة أسوأ يمكن أن يُعَلَّقَ بها، فيستفز الناس ويجعلهم يسبون ويشتمون، فيختارها ثم يجلس وبنائاً في تعليقات الآخرين ويضحك، قال تعالى مخاطباً إبليس:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاسْتَفْزِرْ مِنْ اسْتَطَلَعْتَ مِنْهُمْ بِصُوتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَسَاطِرْ لَهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (64)

(سورة الإسراء)

الاستفزاز لغة إبليس اللعين:

الاستفزاز لغة إبليس اللعين، كيف تبدأ المُشاحنة؟ استفزاز، يستفز زوجته في البيت لُخرج أسوأ ما فيها، وتختار أسوأ وقت لتستفز زوجها لُخرج أسوأ ما فيه، يدخل الموظف مُتأخراً إلى الشركة يوماً، وهو موظفٌ مستقيم، لا يتأخر إلا نادراً، ويؤدّي واجباته، يختار المدير أسوأ عبارة فيقول له: أنت لا تنفع لشيء، أنت أسوأ موظف، لم يأت منك إلى الشركة إلا كل شئ، بدلاً من أن يقول له: أنت موظفٌ جيد وأقدر عملك، لكنك تأخرت عن الدوام اليوم وهذا يُسيء لك ولعملك، الأولى مُستفزة يختارها والثانية لا تستفز فيتركها، يختار العبارة التي تستفز الآخرين.

يأتي إلى البيت وقد تأخّرت زوجته في إعداد البيت أو طبخ الطعام، يختار أسوأ عبارة ليستفزها بها، أنت لم تتربّي في بيت أهلك كما يجب، يتكلم على أهلها، بعد عشر دقائق تقول له: طلقني فُطلقها، استفزّه الشيطان واستفزّها **(واستفزّر من استطفعت منهم يصونك)**.

فتبدأ الشحنة والله لا يعفر لمُشاجن، ولا يمكن أن ندخل رمضان ونحن نتشاجن، سُموا أنفسهم السلفية، يُريدون أننا على منهج السلف الصالح، يأتي بأسوأ عبارة ويُسمّهم بها ويكتبها على الفيسبوك، أنتم السلفية أنتم النابتة، فيستفزه وتكون مشكّلة كبيرة، وهذا أخوك المسلم، وهذا يُسمّي نفسه أنه صوفي، بمعنى أنه يُريد صفاء القلب، فيأتي الآخر بأسوأ عبارة ويكتبها على الفيسبوك ويستفزه، ويظن أنه يفعل خيراً، نتشاجن ونتباعد ونقيم العداوات، ثم يأتي رمضان ونريد أن نستقبله ويستقبلنا، وأن نفتح له أبوابنا، وأن يعفر الله لنا، إن الله لا يعفر لمُشركٍ ولا لمُشاجن.

لا تكن مُستفزراً للآخرين وانصح بما تراه الحق:

يضع النبي صلى الله عليه وسلم المُشاجن مع المُشرك، طبعاً بينهما فرقٌ كبير، لكن عطف هذا على هذا لبيان عظم أمر المُشاحنة، أن تحول في قلبك الشحنة للمسلمين، أنا لا أقول إن سلامة الصدر تعني ترك الأمر بالمعروف، وأن سلامة الصدر تعني ترك النهي عن المُنكر، أو أنها تعني ترك النصيحة، أبدأ، لكن لا تحول في قلبك، لا تكن مُستفزراً للآخرين، لا تتشاجن مع الناس، انصح بما تراه الحق وبين الحق للناس دون أن تستفزه.

مَرَّ سيدنا عُمر على قومٍ قد أشعلوا ناراً، فقال: "السلام عليكم يا أهل الضوء" قال خادمه: وكره أن يقول: يا أهل النار، اختار يا أهل الضوء، اختر العبارة المُناسبة.

النبي صلى الله عليه وسلم كان مع زوجته عائشة رضي الله عنها، انظروا إلى الجمال:

{ عَنْ عَصَاءٍ، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَعُيَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ لِعُيَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ: قَدْ أَنْ لَكَ أَنْ تَزُورَنَا فَقَالَ: أَقُولُ يَا أُمَّةَ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ: زُرْنَا عِنَّمَا تَزِدُّنَا حُبًّا قَالَ: فَقَالَتْ: دَعُونَا مِنْ رَطَابَتِكُمْ هَذِهِ قَالَ ابْنُ عُمَيْرٍ: أَخْبِرْنَا بِأَعَجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَسَكَتَتْ ثُمَّ قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي قَالَ: **يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أُنَعِّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي** قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ فُزْرَكَ وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ قَالَتْ: فَجَاءَ فَتَطَهَّرَ ثُمَّ جَاءَ فَصَلَّى قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ حَيْثُ بَلَ حَيْثُ بَلَ الْأَرْضِ فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤَدُّهُ بِالصَّلَاةِ فَلَمَّا رَأَاهُ يَبْكِي قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ تَبْكِي وَقَدْ عَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: أَفَلَا أَدْرِي أَنَّ عَبْدًا شَكُورًا لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ اللَّيْلَةُ آيَةٌ، وَبَلَ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} {آل عمران: 190} الآية كلها {

(صحيح ابن حبان)

هل يستأذن رجلٌ زوجته أن يقوم لعبادة الله؟! للنفل وليس للفريضة **(يا عائشة ذريني أُنَعِّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي)** لعلها تُريده في هذه الليلة بجوارها، ماذا قالت عائشة؟ لو قالت له أذن لك كأنما جفته، فم لا حاجة لي بك، ولو قالت له لا أذن لك فقد منعه مما يُحب، قالت: **(والله إِنِّي لَأُحِبُّ فُزْرَكَ وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ)** هذا الجواب الجميل الذي يُنمّي العلاقة الطيبة بين الناس **(وقل لعبادي يقولوا النبي هي أحسن)** سلامة الصدر لا تعني ترك الأمر بالمعروف ولا النهي عن المُنكر، ولكن تعني أن تعلم الآخر أنك تُحبه، أنك حريصٌ عليه، أنك لا تُريد به شرّاً تُريد به الخير، النبي صلى الله عليه وسلم يُردف مُعاداً خلفه ويقول:

{ كان معادٌ يصلّي مع النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ يَرْجِعُ فَيُؤْمِنُنَا قَالَ مَرَّةً: ثُمَّ يَرْجِعُ فَيَصَلِّي بِقَوْمِهِ فَأَحْر النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً الصَّلَاةَ وَقَالَ مَرَّةً: الْعِشَاءَ فَصَلَّى مَعَادٌ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ جَاءَ يَوْمٌ قَوْمَهُ، فَقَرَأَ الْبَقْرَةَ، فَاعْتَزَلَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَصَلَّى، فَقِيلَ: نَاقَفْتُ يَا فُلَانُ! فَقَالَ: مَا نَاقَفْتُ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ مَعَادًا يَصَلِّي مَعَكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ فَيُؤْمِنُنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّمَا نَحْنُ أَصْحَابُ نَوَاصِيحٍ، وَنَعْمَلُ بِأَيْدِينَا، وَإِنَّهُ جَاءَ يَوْمُنَا فَقَرَأَ بِسُورَةِ الْبَقْرَةِ! فَقَالَ: **يَا مَعَادُ، أَفَتَأْنُ أَنْتَ؟! أَفَتَأْنُ أَنْتَ؟! أَقْرَأُ بِكَذَا أَقْرَأُ بِكَذَا، قَالَ أَبُو الرَّبْرِ ب {سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} {وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى} وفي رواية: يا مَعَادُ، لَا تَكُنْ فِتْنَةً، فَإِنَّهُ يَصَلِّي وَرَاءَكَ الْكَبِيرُ وَالصَّعِيفُ وَذُو الْحَاجَةِ**

والمسافر {

(أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه)

وبقيت المحبّة قائمة.

رسول لله صلى الله عليه وسلم يقول:

{ ما أَظَلَّتِ الخُضْرَاءُ ولا أَقَلَّتِ الغِبراءُ من ذي لهجَةٍ أَصدَقَ من أبي دَرٍّ }
(أخرجه الطبري والترمذي وابن ماجه وأحمد)

أبو دَرٍّ رضي الله عنه وأرضاه.

{ أَنَّ أبا دَرٍّ وبِلالًا تَغاصَبَا وتَسابَّا وفي ثورة الغضبِ قال أبو دَرٍّ لبِلالٍ: يا ابنَ السَّوداءِ فشكاه بِلالٌ إلى النبيِّ فقال النبيُّ لأبي دَرٍّ: أَعَيَّرْتَهُ بأُمَّه إنك
أَمْرُؤُ فِيكِ جاهِلِيَّةٌ }

(أخرجه البخاري ومسلم)

ويُقي رسول الله يُحبُّ أبا دَرٍّ، ويُقي أبو دَرٍّ رضي الله عنه يُحبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ينبغي أن تكون سلامة الصدر مع كل مُسلمٍ ممن صحَّت عقيدته واستقام سلوكه:

سلامة الصدر يا كرام قبل أن ندخل رمضان، مع الأرحام، مع الناس، مع الأصدقاء، مع المسلمين، ليس مع أبناء مدرستك، ولا مع أبناء مسجدك، ولا مع أبناء عقيدتك الصيِّفة التي تعتقدها، وإنما مع كل مُسلمٍ ممن صحَّت عقيدته واستقام سلوكه، سلامة الصدر مطلوبة، لا نستقبل رمضان وفي قلوبنا عُشٌّ على أحدٍ من المسلمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا
رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (10)

(سورة الحشر)

يُصفُ ربُّنا حال أهل الجَنَّةِ، انظروا إلى هذا الوصف العظيم، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَتَرَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (47)

(سورة الحجر)

تَأَمَّل حاله صلى الله عليه وسلم حين ضربه قومه فأسالوا الدم على وجهه:

{ كَأَنِّي أَنْظُرُ إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْكِي بَيِّنًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَرَبَتْهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمَسُخُ الدَّمَ عن وَجْهِهِ ويقولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي
فإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ }

(أخرجه البخاري ومسلم)

انظر إلى يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، انظر إلى سلامة صدره، ألقوه في الجُب، فَرَقُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ، دخل السجن بسببهم، فلَمَّا مَكَّنَهُ اللهُ تَعَالَى:

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
قَالَ لَا تَحْزَبْ عَلَیْكُمْ الْیَوْمَ ۖ یَعْفُرُ اللّٰهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ اَرْحَمُ الرَّاحِمِیْنَ (92)

(سورة یوسف)

لَمَّا جَاءَ أَبُوهُ مَعَ إِخْوَتِهِ مَاذَا قَالَ؟ قَالَ:

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
وَرَفَعَ أَبَوَیْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْیَايَ مِنْ قَبْلُ ۖ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّیْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۖ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا تَشَاءُ ۗ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِیْمُ الْحَكِیْمُ (100)

(سورة یوسف)

انظروا إلى هذه العبارات الثلاث: (وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ) أيهما أعظم السجن أم الجُب؟ السجن احتمال النجاة وارد، أمَّا الجُب فكان احتمال النجاة قريباً من الصفر، ما أراد أن يُدَكِّرهم بحريمتهم (وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ).

(وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ) ما أراد أن يقول لهم: بعد أن فُهِرتم بالجوع جِئتم إليّ، قال: (وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي) فنسب ما حصل للمُسَبَّب الشيطان وليس للمباشر وهم إخوته، ما قال: من بعد أن فعلتم بي ما فعلتم، هذه سلامة الصدر، هذه مع مَنْ؟ مع كل مَنْ فعلوا ذلك، أفلا تتبّع صدورنا لإخوتنا المسلمين. أيها الإخوة الكرام: الصديق رضي الله عنه وأرضاه، لَمَّا تَكَلَّمَ مسطح بن أناته في عرض ابنته عائشة أمّنا رضي الله عنها، المُبْرَأة من فوق سبع سماوات لعن الله من سبّها وشمّها، يوم تكلم في عرض ابنته وأشيع الخبر، وكان مسطح واحداً من هؤلاء الذين أشاعوا الخبر، وكان يُعطيهِ نفقة يُنْفِقُ عليه لأنه كان فقيراً، أقسم أبو بكر أن لا يُعطيهِ فأُنزل الله تَعَالَى:

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ
وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْعَصْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ ۖ وَلْيَعْفُوا ۖ وَلْيَصْفَحُوا ۖ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللّٰهُ لَكُمْ ۖ وَاللّٰهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (22)

(سورة النور)

فيكي أبو بكر وقال: بلى يا رسول الله أحب أن يغفر الله لي، وأعاد النفقة إلى مسطح.

أيها الإخوة الكرام: هذا أبو دُجَانة دخلوا عليه وهو مريض، فرأوا وجهه يتهلل، فكلموه في ذلك، أنت مريض ووجهك يتهلل؟! فقال: "ما من عمل شيء أوثق عندي من اثنتين، كنت لا أتكلّم فيما لا يعنيني، والأخرى كان قلبي سليماً للمسلمين"، لا أحجل غيلاً على أحد.

التفكير خارج الصندوق:

هذا عُلبَةُ بن زيد، لَمَّا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النفقة، لم يجد هذا الصحابي شيئاً يُنفقه فيكي، انظروا هذا تُسمِّيهِ التفكير خارج الصندوق، يعني أنت إنسان تقول أنا ما عندي شيء أفعله، انظروا ماذا فعل هذا الرجل، كيف فكر خارج الصندوق فقال:

{ كان عُلبَةُ بنُ زيدٍ رجلاً من أصحابِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما حَضَّ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ قال عُلبَةُ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَيْسَ عِنْدِي مَا أَتَصَدَّقُ بِهِ إِلَّا وَسَادَةٌ حَشَوَهَا لَيْفٌ وَدَلُّوْهُ اسْتَعْفَى بِهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَتَصَدَّقُ بِعَرَضِي عَلَى مَنْ نَالَهُ مِنْ خَلْقِكَ، فَأَمْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنَادِيًا فَنَادَى: أَيُّنَ الْمُتَصَدِّقُ بِعَرَضِهِ الْبَارِحَةِ؟ فَقام عُلبَةُ بنُ زيدٍ فقال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللّٰهَ قد قَبِلَ صَدَقَتَكَ }

تصدّقت على المسلمين بأي مظلمة أصابني فيها، من مالي أو جسدي أو عرضي، ثم أصبح الرجل.

الآن أيتها الكرام: يتنزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بفعل هذا الرجل، انظروا إلى عظيم فعله، كم من صحابي تصدّق بالمال؟ وكله عظيم عند الله، لكن يتنزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويُعلمه بما كان من هذا الصحابي، فيُصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: (أين المنصدّق يعرضه البارحة؟ فقام عليه بن زيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله قد قبل صدقتك) زكاة مقبولة عند الله، قبلها الله تعالى.

أيتها الكرام: كان سيدنا عمر رضي الله عنه يقول: "لا تظن بكل كلمة خرجت من أحيك المؤمن شرّاً وأنت تجد لها في الخير محملاً" ابحت عن المحمل الخبّر في كلمة سمعتها، بعض الناس بالعكس يبحث عن الشر في كل كلمة تُقال، كان الشافعي رضي الله عنه يقول: "من أراد أن يقضي له الله بخير فليحسب طئه بالناس".

ينبغي أن يدخل علينا رمضان ونحن سليمو الصدر تجاه إخواننا المسلمين:

إخواني لا تُريد أن يدخل علينا رمضان، إلا ونحن سليمو الصدر تجاه إخواننا المسلمين، لا أقول: أبناء مدرستنا، ولا أبناء مسجدنا، ولا أبناء حيّنا، وإنما يكون صدرنا سليماً تجاه كل مسلم، عاهدوا الله قبل رمضان، أن تُقلع عن كتابة التعليقات على وسائل التواصل، التي تُشعل الخلاف، وتؤدي إلى الشّباب والشتم، والغيبة والنميمة، اعرض الحقّ وتكلم به، وانصح دون أن تُكفر المسلمين، ودون أن تُبدّعهم، ودون أن تُفسّقهم، ودون أن تُسيء الظنّ بهم، دون أن تُهدر أعمالهم السابقة، دون أن تغتال شخصياتهم، كن مُنصفاً فيما تقول، دعونا نتزكّ مُتعة الاستفزاز إرضاءً لله، ثم نستمتع بسلامة الصدر، فهي والله أعظم مُتعة، وأعظم سعادة، ولنعيد العزم جميعاً على التوبة قبل رمضان، حتى إذا دخل رمضان، كنّا مع الله تعالى في حالٍ آخر، فلتلقينا فيوضات هذا الشهر الكريم من أول يومٍ فيه.

أيتها الإخوة الكرام: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزن عليكم، واعلموا أنّ ملك الموت قد تخطّأنا إلى غيرنا وسيختصّي غيرنا إلينا فليتخذ حذرنا، الكيّس من دان نفسه وعمل لقا بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنّى على الله الأمانى، واستغفروا الله.

الحمد لله ربّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله ولهُ الصالحين، اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميدٌ مجيد.

الدعاء:

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك يا مولانا سميعٌ قريبٌ مجيبٌ للدعوات.
ربّنا لا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، إنك غفورٌ رحيم، ربّنا تجاوز عنّا وعن إخواننا واغفر لنا ولهم يا أرحم الراحمين.
اللهم لا يأتي رمضان علينا إلا وقد سلّمت صدورنا، اللهم لا تجعل في قلوبنا غشاً لأحدٍ من المسلمين يا أرحم الراحمين.
اللهم بلّغنا رمضان وأنت راضٍ عنّا يا أكرم الأكرمين.

اللهم إنّنا نسألك الجنّة وما قرّب إليها من قولٍ وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرّب إليها من قولٍ وعمل.
اللهم إنّنا نسألك رضاك والجنّة، ونعوذ بك من سخطك والنار، يا عزيز يا غفار.
اللهم برحمتك نستغيث، أصلح لنا شأننا كله يا أرحم الراحمين، لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقلّ من ذلك.
اللهم إنّنا نسألك لبلادنا أمناً وأماناً، ونسألك للقاتمين عليها أن يعملوا بكتابك وبسنة نبيّك صلى الله عليه وسلم.
اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشداً، يُعز فيه أهل طاعتك ويُهدى فيه أهل عصيانك، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر.
اللهم أهلكنا في غرّة وفي كل مكانٍ يُذكر فيه اسمك يا الله، كُن لهم عوناً ومُعِيناً، وناصرراً وحافظاً ومؤيداً وأميناً.
وصلّى إلهي وسلّم وبارك على نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين.